

معنى الخلود

لقد خنقتي العبرة قبل البدء في هذا المقال، ولكن لابد من الاستمرار وعدم الخضوع للعاطفة أمام العقل. القرآن الكريم متحرك وكأنه في هذه الآيات المباركة يجسد قضية سيدنا ومولانا الإمام الحسين (ع) الذي ارتحل بنفر قليل من أهله وأصحابه بعد أن حذّره الكثيرون من الذهاب ومن مغبة الأمر إلا أنه بقي على العهد □ ولرسوله وانطلق حتى قُتل بيد أخبث الخبثاء حيث اندفع إلى ربه شهيدا مخضبا بدمه الطاهر؛ لكنه مضى منتصرا ودليل ذلك جافل البشر التي تتجاوز مئتي مليون في كل عام، وهل هناك نصر أكبر من هذا؟ هل يوجد شخص أو وُجِدَ تحتفل بذكراه أنفس بهذا العدد المهور؟! نحن لا نؤمن الحسين (ع) ولكن نحتفل بنصره المؤزر بخلود قضيته ما بقي الليل والنهار وباطراد في كل عام لدرجة أنه لا توجد بقعة على وجه هذه الأرض لا تضيء بذكر الحسين (ع)، وكأن دماءه الطاهرة توزعت على كل بقاع هذه البسيطة. وإن مات جسدا، الإمام (ع) لم يمت عهدا أو وجدانا ولا تزال جذوة نوره تزداد انبلاجا وإشراقا حتى أضاءت للملايين دروبهم، يتكاثرون عاما بعد عام حيث يمزج إلى دمائهم وهم أجنة في أرحام أمهاتهم دم الرضيع الذي قبضه جبريل واذخره □ لأبناء المحبين. وأرجو المعذرة لأنني لا أستطيع أن أكمل هذا المقال في نفس واحد لشدة وقعه على نفسي، فأنا بحاجة إلى راحة بين حين وآخر.

تجنبنا للأبعاد الغيبية والماورائيات التي لا يعلمها إلا □ سبحانه وللمنزلة العظيمة التي أعدّها جلّ وعلا للحسين (ع)، ونزولا فقط عند القوانين المادية، هل مات رجلٌ تتجدد قضيته في كل عام وبحرارة أكثر مما مضى؟ في يوم الحسين (ع) تعيش الناسُ كلُّها بذكراه بلا استثناء حتى تستحيل أماكنهم خلية نحل يصل دويها لعنان السماء؛ فهناك من يسقي ومن يطعم ومن يقوم ويقعد ومن يصدح بصوت الحسين (ع). هذا هو الخلود الحقيقي لأن كل هذه الملايين تعيش وترتقي في هذه اللحظات دون تَرَ قُبْ عطية أو مردود مادي أو دنيوي؛ تفعل ذلك بطواعية قربة □ وعزاء للرسول (ص) وآل بيته الكرام.

الحسين (ع) ليس مُلوكاً لأحد ولكنه يملك الجميع، ويجب أن يكون الأمر هكذا وأن نُوقف الذين يحاولون احتكار الحسين (ع) وقضيته عند حدّهم كيلا يحجمون الحسين (ع) أو يؤطروه برؤيتهم الأحادية. الحسين (ع) أكبر وأوسع من ذلك بكثير وله محبون من الأديان كلِّها؛ الحسين (ع) حبيب كل حرٍّ عاقل. وغايتنا ألا يشوّه البعض قضيته بحبٍ دون عقلٍ. الحسين (ع) أتى يخاطب العقول قبل القلوب. الناس أحبته بسبب عقله ورزاقته وتصرفاته العظيمة ومواقفه الشريفة، أحبته لما يحتويه من عقل وحكمة ومعرفة وعنقوان وقلب محب للجميع. الناس لا تحب الحسين (ع) لأنه طفل جميل يدخل البهجة على القلوب أو لأنه فقط سبط

نبي الرحمة. الناس تحبه لذاته، وهو جدير بكل هذا الحب والاحترام والتقدير والتعظيم.

ومن هذا المنطلق، علينا جميعاً أن نغربل ونضبط ما يقال على منبره لأن هذا واجب وليس اختياراً. تصافر الجميع مطلوب لإخراج قضية الحسين (ع) بصورة بهيجة يستفيد منها الجميع وبعيدا عن استغلال هي الأيام لاستجلاب الطقوس العجيبة اعتماداً على الخرافات والخزعبلات استيراداً من ديانات أسطورية مختلفة. تُؤكِّلُ هذه المهمة للجميع؛ للمؤسسة الدينية والشارع، خصوصاً المثقفين منهم. علينا أن نحيد الأقطاب المتنافرة لأجل الحسين (ع) ولأجل الأمة، وعلى الجميع الجلوس على طاولة حوار للمضي في حلول مرضية، ولا يمكن لهذه الحلول أن تأتي كإملاءات من طرف إلى آخر. على الجميع أن يتواضع وينزل قليلاً لأجل الحسين (ع) لأن الذين ارتفعوا، ارتفعوا به، وإن أخذتهم العزة بالإثم سيُخَلَدُونَ إلى الأبد كما فعلوا في بلعم بن باعوراء، وذلك جزاء الظالمين.

لنرتق جميعاً بالحسين (ع) وتأكدوا أنه لن يرتقي بنا.